**Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)**
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي (AAJSR)
E-ISSN: 2959-6505
Volume 1, Issue 2, April-June 2023, Page No: 273-290
Website: https://www.aajsr.com

# في اللسانية التوليدية التحويلية:
# النشأة والتطوّر، الفكر والمنطلقات، المبادئ والقواعد، الفكر التوليدي التحويلي والسلوكي البنيوي

أ. كمارا سليمان*
باحث دكتوراه، معهد تعليم اللغة العربية، قسم علم اللغة التطبيقي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية

# In General transformation linguistics: Foundation, development, idea, basis, principles, grammar, and general transformation ideology, and structural behavior

Camara Souleymane*
PhD researcher, Arabic Language Teaching Institute, Department of Applied Linguistics, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

| | | |
|---|---|---|
| *المؤلف المراسل | camarafatim533@gmail.com | *Corresponding author |
| | | |
|---|---|---|
| **تاريخ الاستلام:** 2023-04-18 | **تاريخ القبول:** 2023-05-21 | **تاريخ النشر:** 2023-05-30 |

**الملخص**

يدرس هذا البحث اللسانيات التوليدية التحويلية عند نعوم تشومسكي، بدءا بالنشأة والتطوّر، وصولا إلى الفكر الفلسفي والمنطلقات الفكرية التي تأثّر بها عمل تشومسكي Noam Chomsky، الذي يمثّله النحو التوليدي التحويلي، كما يدرس المبادئ والقواعد التي عرض تشومسكي أفكاره اللسانية من خلالها في مجال اكتساب اللغة وتعلّمها. كما يحاول هذه الدراسة المقارنة بين الفكر التوليدي التحويلي والفكر البنيوي السلوكي في اكتساب اللغة وتعلّمها.

**الكلمات المفتاحية:** اللسانيات التوليدية التحويلية، النشأة والتطوّر، الفكر والمنطلقات، الفكر السلوكي البنيوي.

**Abstract**

This research studies general transformation linguistic at Neom Chomsky, starting from the foundation and the development, to the physiological idea, and the basic ideas that Chomsky effects. That is representing grammatical general transformation, as it studies the principles and grammars that Chomsky brought it's linguistic ideas through it on the learning and language acquisition. As this study tries to compare between general transformation ideology and structural behaviour in learning and language acquisition.

**Keywords:** Generative and transformational linguistics, origin and development, thought and starting points, structural behavioral thought.

**المقدّمة**

ارتبطت الثورة اللسانية في نصف القرن العشرين بنعوم تشومسكي Noam Chomsky من خلال نظريته " النحو التوليدي التحويلي" التي حظيت بالمكانة العليا في الدرس اللغوي الحديث، حيث جاءت تلك النظرية العميقة ردّ فعل للنظرية السلوكية عند بلومفيلد Bloomfield في الاكتساب اللغوي وتعليمية اللغة، التي ربطت اكتساب اللغة وتعلّمه بالافتراض الخارجي، الذي تمثّله تجربة المثير والاستجابة. وتبنّت فكرة أنّ الاكتساب اللغوي يتمّ من خلال تكرار العادات والتعزيز، وأنّ اكتساب أي لغة كاكتساب لأي سلوك آخر. ولم يكتف تشومسكي بالثورة على النظرية السلوكية بل توسّع في ذلك لتنتقد المدرسة البنيوية التي هي نقطة انطلاق المدرسة السلوكية في الدرس اللغوي، وقد اكتفت البنيوية بوصف اللغة وتحليلها بطريقة شكلية، متجاهلة الدورَ الذي يحمله المعنى في اللغات، ومن دون أن تحدّد قواعد أو قوانين يمكّن المتكلّم على توليد الجمل وتحويلها، كما أهملت الإبداع العقلي الفطري للاكتساب اللغوي الذي طالما دعت إليه التشومسكية، وتجاهلت الكفاءة اللغوية، ولم تضع قواعد شاملة تشمل جميع اللغات، (النحو الكلي) فانطلقت من أنّ اللغة بناء متكامل يشتمل على وحدات لغوية أو تحليلية تسمّى بالمستويات اللغوية، المستوى الصوتي، والتركيبي، والصرفي، والدلالي، من هنا جاءت ثورة تشومسكي المتمثّلة في النظرية التوليدية التحويلية في محاولته لسدّ ثغرات المدرسة السلوكية خاصّة والبنيوية الشكلية عامة، وإعادة تشكيل الدرس اللغوي الحديث في اكتساب اللغة وتعلّمها وتعليمها.

**مشكلة الدراسة: يمكن تحديد أسئلة البحث في الآتي:**

- ما هي مراحل تطوّر اللسانيات التوليدية التحويلية؟
- ما هي الفكر والمنطلقات التي تأثّرت بها اللسانيات التوليدية التحويلية؟
- ما هي القواعد والمبادئ التي اعتمدتها اللسانيات التوليدية التحويلية في اكتساب اللغة وتعلّمها؟
- ما الخصائص التي اختصّت بها اللسانيات التوليدية التحويلية عن السلوكية البنيوية؟

**أهمية الدراسة:**

- وتكمن أهمية هذه الدراسة في اهتمامها لدراسة أهمّ التطورات المرحلية التي مرّت بها اللسانيات التوليدية التحويلية عند تشومسكي، تمهيدا لتوضيح أفكار هذه المدرسة من خلال هذه التطوّرات في أهمّ مراحلها في الدرس اللساني الحديث للدارسين والباحثين.
- إلقاء الضوء على المنطلقات والأفكار التي تأثّرت بها اللسانيات التوليدية التحويلية في بناء مشروعها اللساني وثورتها العلمية على المدرسة السلوكية والبنيوية الشكلية في الدرس اللغوي الحديث.
- ومن أهمية هذه الدراسة اهتمامها بدراسة أهمّ خصائص ومميّزات المدرسة التوليدية التحويلية ومقارنتها بأهمّ خصائص ومميّزات المدرسة السلوكية البنيوية، ليفيد ذلك الباحثين في عملية توظيف المدرستين في مجال اكتساب اللغة وتعلّمها وتعليمها، وفي استيعاب معطيات هاتين المدرستين والتفريق بينهما في مجالات الاهتمام والدراسة.

**هدف الدراسة:** تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهمّ مراحل تطوّرات اللسانيات التوليدية التحويلية، ومعرفة منطلقاتها ومرتكزاتها وخصائصها ومميّزاتها، والأسس والمبادئ التي ارتكزت عليها، في بناء هذه المدرسة.

**حدود الدراسة:** اللسانيات التوليدية التحويلية، النشأة والتطوّر، الفكر والمنطلقات، المبادئ والقواعد، الفكر التوليدي التحويلي والسلوكي البنيوي.

**المبحث الأوّل: نشأة النظرية التوليدية التحويلية ومراحل تطوّرها:**

بتتبّع المسار التأريخي لثورة تشومسكي – النظرية التوليدية التحويلية-يمكن تلخيص المراحل التي مرّت بها هذه النظرية في أبرز مرحلتين هما:

**المرحلة الأولى: مرحلة المباني التركيبية (1957-1965م):**

وتبدأ هذه المرحلة بظهور كتاب تشومسكي الأوّل (المباني التركيبية)، ( STRUCTURES SYNTAXIQUE)، الذي تضمّن أهدافًا وقواعد تسمّى (أنحاء ونماذج)، وركّز تشومسكي (Chomsky) في الأهداف إجمالا على النقاط الآتية:

**النقطة الأولى**: تلحّ على الخاصية الإبداعية بوصفها النهاية المفتوحة في اللغات الإنسانية؛ ويعني: "أنّ اللغة تقدّم وسائل محدودة لتعبّر عن إمكانات غير محدودة". (Chomsky, 1991:10) ، وهذا يجعل أكثر الجمل في أيّ نصّ مدوّن هي جمل جديدة، وحسب تشومسكي فإنّ القواعد تولّد جميع الجمل في اللغة، ولا تميّز بين ما ثبت منها وما لم يثبت (الوعر، 1988: 63) ، وتعني الإبداعية في جوهرها: "استعداد المتكلّم التلقائي لفهم وإنتاج عدد لا نهائي من الجمل لم يسبق له تلفّظها أو سماعها". ( DuBois et autres,1994:126). ومن هنا تظهر كفاءة المتكلّم وقدرته الذهنية اللغوية على التوليد، وعليه يكون مبدعا.

**النقطة الثانية**: التي تميّز أعمال تشومسكي الجديدة وموقفه من أهداف اللسانيات الحديثة تتعلّق بالدور الذي يوكله إلى ما يسمّيه بالحدس، أو المقدرة على الحكم اللغوي عند المتكلّم، وذلك لتمييز بين مجموعة من الجمل المترادفة في المعنى، أو الجمل ذات اللبس اللغوي. (الوعر، 1988: 63).
فالحكم على استقامة العبارة نحويا راجع إلى حدس المتكلّم، ولكي يكون حدسه إطارًا مرجعيًّا

يحتكم إليه، لابدّ أن تكون لغة العبارة هي لغة المتكلّم الأمّ، -يقصد بذلك المتحدّث الأصلي للغة، لأنّ تشومسكي يرى أن الحدس قدرة لغوية يتّصف بها المتحدّث الأصلي للغة - ومن هنا أضحت المكانة التي أفردها تشومسكي للحدس دليلا على القطعية التامّة التي نشبت بينه وبين الأبحاث السلوكية، وهي التي تحدّد المعنى من خلال القرائن المحيطة بالتخاطب، أمّا النظرية التوليدية فقد أعادت للمتكلّم اعتباره ومكانته في التعبير كما ردّت إليه المعنى، (إيلوار،1980: 140).

**النقطة الثالثة:** وقد نبّه عليها تشومسكي في كتابه (المباني التركيبية)، وهي أنّ الاتجاه الذي سلكه السلوكيون (بلومفيلد، Bloomfield) هو اتجاه غير مستقيم وغير مجدٍ. ومن هنا ينبغي عدم النظر إلى النظرية اللغوية على أنّها كتاب يجمع عددًا من أساليب الاكتشاف المفيدة، وإنّما الأمر أن يُوصل إلى نتيجة وتُسوّغ دون الرجوع إلى الأساليب التي استخدمت في التوصّل إليها، كما ناقش تشومسكي احتمال تشكيل مجموعة من المعايير يمكن في ضوئها البتّ في مدى سلامة صيغة نحوية معينة وتفضيلها على سواها من الصيغ بهدف وصف المعطيات اللغوية، (الوعر، 1988: 63)

**النقطة الرابعة:** وتتمثّل في أنّ أطروحات تشومسكي تفوق في طموحها أطروحات من سبقوه، فما أوجده تشومسكي في اللسانيات يستند إلى الدّقة الرياضية المتناهية، المتوخاة في صياغة النظم البديلة في الوصف النحوي، إذ إنه يشبه القواعد النحوية بالقواعد والقوانين الحسابية، إذ يتحتّم عليها أن تكون دقيقة التحديد، (الوعر، 1988: 63).

ونجد أنّ تشومسكي في مرحلة المباني التركيبية يقترح نماذج من خلالها يمكن تفسير الجملة، ويحصرها في ثلاث قواعد تنطلق من القدرة الإبداعية التي يملكها المتكلّم، التي تتمثّل في قدرته على تحويل الجمل وتوليدها إلى ما لا نهاية.

وهي:

1- نموذج القواعد النحوية المحدودة. Limited grammar model
2- نموذج بنية العبارة. Phrase Structure model
3- نموذج القواعد التحويلية. Form of transformative rules (تشومسكي،2005: 14).

**نموذج القواعد النحوية المحدودة**: هي أبسط النماذج النحوية التي طرحها تشومسكي، وهي القواعد التي تمكّننا على توليد عدد غير محدود من الجمل، ويكون ذلك بواسطة عدد محدود من القواعد المتكرّرة التي تعمل من خلال عدد محدود من المفردات. ويقوم هذا النموذج على مبدإ يقول: الجملُ تُولد عن طريق سلسلة من الاختيارات تبدأ من اليسار إلى اليمين كما في الإنجليزية، أو من اليمين إلى اليسار كما في العربية، أي عند الانتهاء من اختيار العنصر الأوّل، فكلّ اختيار يأتي بعد ذلك يرتبط بالعناصر أو الألفاظ السابقة اختيارها مباشرة، وبناء عليه يجري التركيب النحوي للجملة (Syntactic Structure)، (ليونز،1985: 103).

ويمكننا توضيح ذلك بالمثالين الآتيين: حضر المعلم المكلّف بالإلقاء / حضر المعلمون المكلّفون بالإلقاء.

بهذين المثالين سنحصل على الاختيارات التالية:

أ- اختيار المدخل اللساني " حضر" باستطاعته – لغويّا- أن يحيل على كلمة " معلم" وعلى كلمة "معلمون".

ب- اختيار الملفوظ اللساني " معلم" يستدعي في الجملة كلمة " مكلّف" فقط، في حين أنّ الملفوظ "معلمون" يستدعي المنطوق اللغوّي " معلمون" فقط.

ج- ومع ذلك الملفوظان اللسانيان "مكلّف" و" مكلّفون" يقبلان معا المنطوق اللغوّي "بالإلقاء".

ويمكن تمديد هذه الجملة إلى: حضر المعلّم الجديد المكلّف بالإلقاء/ حضر المعلمون الجدد المكلّفون بالإلقاء.

ويمكن التمثيل أيضا بجملتي:

1- الطالب مجتهد
2- الطلاب مجتهدون.

فالعنصر الأوّل " ال " (أداة التعريف)، حقَّ له أن يختار العنصر الذي يليه وهو " طالب " أو " طلاب" إلّا أن عنصر " طالب" لزم به مجيء" مجتهد " بينما عنصرُ " طلاب " لزم به مجيء " مجتهدون "

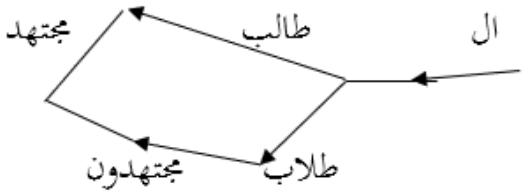


وبهذه الطريقة يمكننا توسيع الجملة بالانتقال من حالة معيّنة إلى الحالة نفسها بزيادة حلقة إلى الرسم التخطيطي. (كاظم،2009: 107).

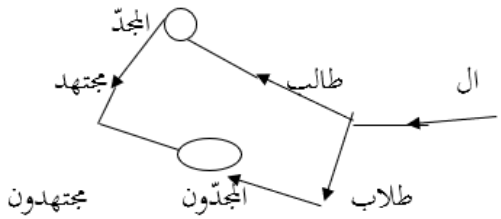

ثمّ إنّ هناك بعض الجمل قد تكون غير مستساغة، لأنّها لا تستوعب الحدس الذي يملكه المتكلّم عن اللغة، فجملة "وقف القلم في الطابور"، هذه الجملة تبدأ من اليمين إلى اليسار، وهي مرتبطة لفظا ومقبولة نحويا، ولكنها لا تستقيم معنا، لأنّه لا يوجد ترابط دلالي بين "وقف" و "القلم" ولذلك وصفت اللغات التي تتضمّن هذا النوع من الجمل أنّها لغات خارجة عن دائرة نموذج القواعد المحدودة. Dubois ET autres, 1994:26-28).

**2-نحو بنية العبارات** Phrase Structure: ويسمّى كذلك بالأنموذج الركني، (كاظم،2009: 107). فهذا النحو بينه وبين نحو النموذج المحدود علاقة تكاملية، فنحو بنية العبارات يمكن له وصف بعض القضايا اللغوية التي لا يستطيع نحو بنية العبارات وصفها، فهو يقوم على فكرة تحليل الجملة إلى عناصرها الأساسية مباشرة، وهي ذات الفكرة التي نادى بها بلومفيلد بواسطة مخطّط الخانات. (تشومسكي، 1987: 27، 28).

ويمكن توضيح الصورة التي وضع عليها تشومسكي قواعد تركيب الجملة بالقواعد الآتية:

1- الجملة ← مركّب اسمي +مركّب فعلي.

ج ← م ا +م ف.

2- المركّب الاسمي ← أداة التعريف + اسم

م ا ← ال + اس.

3- المركّب الفعلي ← الفعل+ المركّب الاسمي.

م ف ← ف+ (ال+ اس).

4- أداة التعريف ← ال.

5- الاسم ← (رجل، امرأة.....) ← (اس).

6- الفعل ← ( جلس، قرأ.....) ← ف.

ويركّز تشومسكي من خلال هذه القواعد على طريقة اشتقاق الجملة من خلال منهج إعادة الكتابة، ويرمز بالسهم ←بأنّ ما قبل السهم تعاد كتابته بما بعد السهم، لتوضيح العلاقة القائمة بين مكوّنات الجملة. ويمكن تخطيط المشجّر كالآتي:

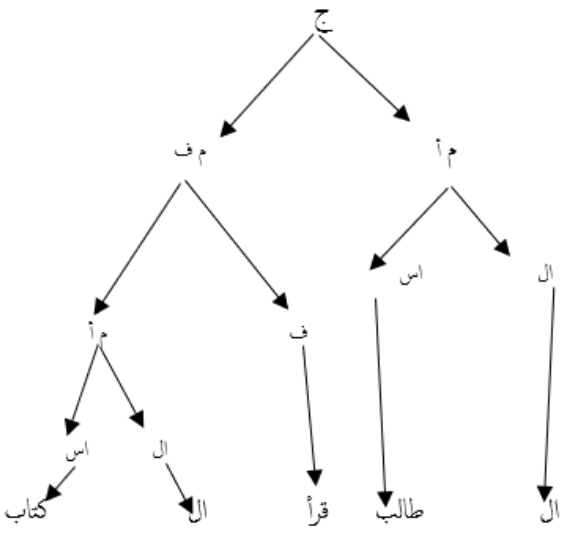

بملاحظة المشجّر أعلاه يلحظ أنه يفسّر العلامات اللسانية بطريقة مباشرة على الشكل الآتي:
- سلسلة العناصر الدائمة: ال + طالب+ قرأ+ ال+ كتاب.
- هذه العناصر تعطينا جملة مؤلّفة من مركبين م ا + م ف.
- المركّب الاسمي يظهر على يمين المركّب الفعلي، ويتألّف من (ال) واسم (اس) (طالب).
- المركّب الفعلي يظهر على يسار المركّب الاسمي، ويتألّف من: فعل (ف) (قرأ) ومركّب اسمي (م ا) يتكوّن بدوره من أداة (ال) واسم (اس) (كتاب)، (درقاوي،2015: 7،8).
ويرى تشومسكي (Chomsky) أنّ نموذج بنية العبارات (الجمل) هو أكثر ملاءمة من نحو المواقع المحدودة، (النماذج النحوية المحدودة)، ولكن يظلّ نموذجا نحويّا محدودا؛ لأنّه لا يستطيع استيعاب كلّ الظواهر اللغويّة، كما أنّه يقف عاجزا عن تحليل بعض الجمل التي تحمل أكثر من معنى. (ليونز،١٩٨٥: ١٢٨).

**3- نموذج القواعد التحويلية:**
التحويل آلية من الآليات التي وظّفها تشومسكي في مدوّنته اللسانية، وقد استعاره من أستاذه هاريس (Harris) كما استعار منه الرموز الجبرية، وهو موكول له مهمة ربط البنى العميقة بالبنى السطحية، وعلى هذا الأساس تمّ التفرقة على أنّ التوليد يدلّ على الجانب الإبداعي في اللغة؛ أي: القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل، في حين أنّ التحويل ناقل للبنى العميقة إلى بنى متوسّطة وسطحيّة، وإن اقتضى الأمر أكثر من عملية تحويل. (سامبسون،:142).
ويفضّل تشومسكي النحو التحويلي على غيره لأنّ القواعد التحويلية تعكس حدس أصحاب اللغة أفضل من غيرها من القواعد، وتولّد عددا غير متناه من الجمل، وتولي اهتماما كبيرا للمعنى أكثر ممّا توليه قواعد نحو العبارات، وتزيل اللبس التركيبي الذي وقعت فيه القواعد السابقة. (ليونز،١٩٨٥: ١٢٩-١٣٠).
وقد اقتراح قوانين مساعدة لسد نقص نموذج نحو بنية العبارات تعمل على البنية النحوية للجملة فتغيّر فيها وتحيلها على بنية نحوية مختلفة، واختار تشومسكي بنية المساعد الفعلي ليبرهن على أنّ دقّة الوصف وضبطه تستدعي توليد مكوّنات إضافية كالزمن، والاستمرار، والتمام، وغير ذلك، وهي علامات وأنساق فعلية تظهر على شكل لواصق في نهاية الفعل. (باقر،٢٠٠٢: ٦١).
مثال ذلك: (قد شاهد الرجل المباراة)، فباتباع القواعد التوليدية التحويلية نجد ما يأتي:

1- ج ← م ا+ م ف.

2- م ← مفرد(مفر)، مثنى (مث)، جمع ( جمع)

3- م ا ( مفر) ← أداة+ اس.

4- م ا (مث) ← أداة+ اس+ علامة تثنية.

5- م ا (جم) ← أداة+ اس + علامة جمع.

6- م ف ← ف+ م ا.

7- الأداة ← ال.

8- اس ← الرجل، المباراة

9- فعل ← فعل مساعد+ فعل.

10- ف ← شاهد.

11- ف مساعد ← الزمن+ المساعد الإضافي.

12-الزمن
- الحاضر
- الماضي

13- مساعد صيغي ← (س، سوف، قد ...)

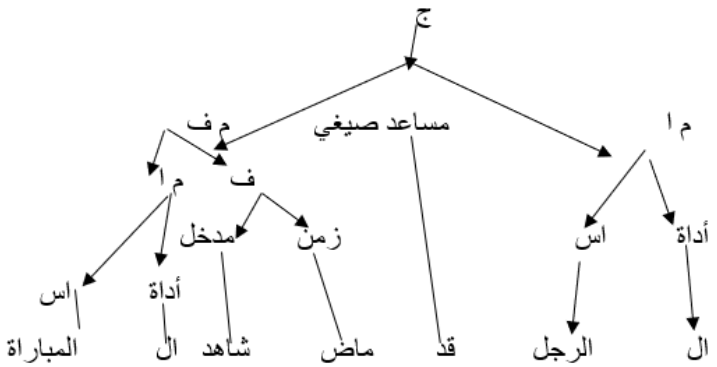


**المرحلة الثانية: (١٩٦٥م-١٩٧٠م):**

في سنة ١٩٦٥م إثر ظهور كتاب (أوجه النظرية التركيبية)، ( Aspects de la theorie syntaxique)، بدأت هذه المرحلة، وفيها اقترح تشومسكي نظرية أكثر تفصيلا للقواعد التحويلية، وقد اختلفت في الوقت ذاته عن النظرية التي قال بها في كتابه الأوّل (المبادئ التركيبية)، وأهمّ مبادئ هذه المرحلة يمكن تلخيصها فيما يأتي:

**المبدأ الأوّل: الكفاءة والأداء (Performance & Competence):** إذ يرى أنّ النظرية اللغوية مبدئيّا تخصّ المتكلّم والسامع (Speaker & hearer) المثالي المنتمي إلى جماعة كلامية ذات تماثل كلاميّ تامّ، العارف للغة تلك الجماعة معرفة تامّة.

وقد أطلق تشومسكي على معرفة المتكلّم السامع بلغته مصطلح الكفاية (Competence)، وافترض أنّ هذا المتكلّم السامع لا يكون متأثّرا بحدود لا صلة لها بالقواعد كالذاكرة المحدودة، أو تحوّل الانتباه، أو عدم المتابعة، أو الأخطاء الكلامية (العشوائية أو المتواترة) حين يطبّق معرفته اللغويّة في مجال الأداء الفعلي، إذ أطلق تشومسكي على استعمال اللغة في مواقف حقيقية مصطلح الأداء (performance)، (تشومسكي،1965: 28)، فالكفاية تكون في امتلاك المتكلّم السامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جدّا من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية، ثمّ القدرة على الربط بين الأصوات المنتَجة، وتجمّعها في مورفيمات تنتظم في جمل، والقدرة على ربطها بمعنى لغوي محدّد، ذلك كله يحصل بعمليات ذهنية داخلية، يحصل التنسيق بينها بما يسمى (قواعد إنتاج اللغة)، ( عمايرة،١٩٨٤: ٥٧).

**المبدأ الثاني: القواعد التحويلية، (Transformational Rules):**

**نظام التحويل بين هاريس وتشومسكي:**

قبل البدء يجب التمييز بين اتجاهين تحويلين، وهما الاتجاه الذي قاده اللساني هاريس، والاتجاه التحويلي لدى تشومسكي، فالنحو التحويلي عند تشومسكي، ليس استمرارا أو تعميقا للنحو التحويلي عند هاريس، ولكن هناك علاقة عامّة بين التصوّرين تكمن في تصوّرهما معا للتحويلات على أنّها علاقة بين الجمل، وإن اختلف العالمان في صياغة طبيعة هذه القواعد ودورها في التحليل اللساني وآليات اشتغالهما، وقد أشار تشومسكي منذ البداية إلى هذا التقارب الاصطلاحي بينه وبين أستاذه هاريس، حيث يقول: " إنّ التصوّر الذي أعرضه هنا هو تطوير لأفكار هاريس ولكن في اتجاهات أخرى مختلفة نسبيا". لذلك "لا

يجوز أن يتطابق النحو التوليدي ومنهج التحويل، لأنّ Saumjanالنحو التوليدي يمكن أن يوجد دون قواعد تحويلية، وهذا ما يوضّحه نموذج شومبيان
والتحليل التحويلي قادر على اكتشاف علاقات نحوية معيّنة، دون وجوب وضعه في إطار توليدي".
(غلفان، 2010: 98).
وتربط التحويلات عند هاريس بين الجمل داخل إطار عام، هو العلاقة بين مكوّنات الخطاب (الجمل) من حيث ترادفها وشرح بعضها بعضا، فيقوم التحليل التحويلي عند هاريس على أسس تركيبية ذات طابع شكلي.
فالتحويلات بهذا المعنى علاقة تكافؤ بين الجمل التي توضع انطلاقا من تحليل الجوانب المختلفة لتوارد الجمل. فالتحويلات تعميم لمبدإ علاقة التكافؤ بين الجمل.
والتحويل عند تشومسكي يتعلّق بالتحوّلات والاختلافات التي قد تعرفها الجملة الواحدة، فالتحويلات عنده تربط البنية العميقة للجملة ببنيتها السطحية. وقد يكون للجملة الواحدة بنية واحدة مقابل بنيتين عميقتين أو أكثر، أو بنية عميقة واحدة تقابلها عدّة بنيات سطحية. (غلفان،2010: 100،99)
وقد حصل هناك جدل كبير حول تعريف القواعد التحويلية وحول أي قواعد يمكن أن توصف بالقواعد التحويلية، ومن أجل التبسيط والاختصار، يمكننا هنا تبنّي وجهة النظر القائلة: "إنّ أيّ قواعد تعطي لكلّ جملة في اللغة تركيبا باطنيّا وتركيبا ظاهريّا وتربط بين التركيبين بنظام خاصّ يمكن أن تكون قواعد تحويلية ولو لم تصف نفسها بهذا الوصف." (الخولي،١٩٩٩: ٦). من هنا يتبيّن لنا عمل القواعد التحويلية، التي تدرس التراكيب السطحية والعميقة مع وجود الترابط بين النوعين من التركيبين، السطحي والعميق.
ونظام القواعد التحويلية عند تشومسكي يتألّف من ثلاث مكوّنات رئيسة:(تشومسكي،١٩٦٥: ٣٩)
**أ-المكوّن النحوي:** وهي التي تعنى بتحديد مجموعة لا متناهية من العناصر الصوغيّة المجرّدة، تتضمّن كلّ منها المعلومات ذات الصلّة بتأويل واحد لجملة معيّنة. وبعبارة أخرى فالمكوّن النحويّ هو الذي يهيّئ المعلومات التي تخصّ عناصر التركيب، وعلاقتها فيما بينها ضمن الجملة.

**ب-المكوّن الفنولوجي:** (الصرفي) يعنى بتحديد الصفة الصوتية لجملة مولّدة بواسطة القوانين النحوية، وبمعنى آخر فهو يعمل على وصل بين تركيب ولّده المكوّن النحويُّ بإشارة لها تمثيل أو صورة صوتية.
**ج-المكوّن الدلالي:** وهو الذي يحدّد التأويل الدلالي لجملة معيّنة، فيربط تركيبا ولّده المكوّن النحوي بتمثيل أو صورة دلالية معيّنة.
وبالجملة تستطيع القواعد التحويلية أن تقدّم تفسيرا مقنعا لقدرة المرء على إنتاج وعلى فهم عدد غير متناه من الجمل الجديدة، وتفسّر كذلك كيف يمكن للمرء أن يحكم أنّ الجملتين متشابهتين في التركيب الظاهري، غير متوازيتين في العلاقة المعنوية، وكيف يفهم الجملة فهما كاملا رغم حذف أجزاء منها، وتفسّر هذه القواعد بوضوح كيف ولماذا يحدث أنّ جملة واحدة لها معنيان، وأخيرا تستطيع أن تفسّر كيف يستطيع المرء أن يميّز بين الجمل الصحيحة والجمل غير الصحيحة نحويّا، رغم أنّ هذه الجملة تتّخذ أشكالا لا حصر لها. (الخولي،١٩٩٩: ٩-11). ولذلك، القواعد التحويلية تساعد الجملة على الانتقال من بنيتها الأوّلية (العميقة) إلى بنيتها النهائية (السطحية)، وبواسطة هذه التحويلات يمكننا الحصول على عدد غير محدّد من البنى اللغوية البسيطة، من عدد محدّد من البنى العميقة، وهو أمر موجود في اللغات جميعا، إذ إنّ هذه القواعد كليّة شمولية عالمية، متساوية عند بني البشر جميعا. (عمايرة،١٩٨٤: ٥٦).
**المبدأ الثالث: البنية العميقة** Deep structure **والبنية السطحية** Surface structure:
تُعرف البنية العميقة بأنها الجانب الدلالي، فهي التي تحدّد المعنى، وتتميّز بأنها بنية مولّدة في قاعدة التركيب بواسطة قواعد إعادة الكتابة والقواعد المعجمية، وأنها البنية التي يمكن لها أن تحوّل بواسطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية. أمّا البنية السطحية فتمثّل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل، أي إنها مجموعة من العلاقات اللسانية الملفوظة أو المكتوبة، تتميّز بأنها تختلف من لغة لأخرى. (الفهري،1988 :٦٨)، فقولك: قرأ سعيد الكتاب، وسعيد قرأ الكتاب، فالجملتان لا تختلفان إلّا من الناحية التركيبية، أي: على مستوى البنية السطحية، ولكنهما مرتبطتان على مستوى البنية العميقة.

**المبدأ الرابع: عناصر التحويل:**
يمكننا أن نجد عناصر التحويل في أربعة عناصر رئيسة وهي:
**التحويل بالترتيب.**
**والتحويل بالزيادة.**
**والتحويل بالحذف.**
**والتحويل بالاستبدال.**
ويزاد على هذه العناصر الأربعة: **النبر، والتنغيم، والحركة الإعرابية.**
**التحويل بالترتيب:** هو نقل كلمة من موقعها الأصلي إلى موقع جديد متغيّرا بذلك هيكل الجملة الشكلية، وناقلا معناها إلى معنى جديد يربطه بالمعنى الأوّل رابطة واضحة، تقول مثلا: **جاء عبد الله** راكبا، فيصير مثلا بعد التحويل بالترتيب: **راكبا جاء عبد الله**.
**التحويل بالزيادة:** وهو ما يضاف إلى الجملة النواة من كلمات يعبّر عنها النحاة بالفضلات أو التتمّات، أو الكمّل، ويعبّر عنها البلاغيون بالقيد أو القيود.
فتضاف إلى الجملة الأصلية لتحقيق زيادة في المعنى. تقول مثلا: أنا صادق، وإذا أردت تأكيد الخبر قلت: إنّي صادق، وإن أردت تأكيد الخبر بشكل أقوى لمنكر قلت: إن والله لصادق. وتكون الزيادة في أوّل الجملة أو في وسطها، أو في آخرها.
**التحويل بالحذف:** وفيه يحصل حذف أحد عناصر الجملة لغرض من الأغراض الدلالية، من غير أن يترك هذا الحذف أيَّ خلل في الجملة، فجملة أكل الولدُ التفاحةَ، تصبح بعد -التحويل بالحذف: أُكلت التفاحةُ، بعد تحويل الجملة إلى البناء للمجهول بحذف الفاعل.
**التحويل بالاستبدال (الإحلال)** وفيه يوضع ضمير موضع اسم ظاهر نحو قولك: نشرتُ الخبرَ، فتقول بعد التحويل: الخبرَ نشرته، أو الخبرُ نشرتُه، فيحلّ الضمير (ه) محلّ الاسم الظاهر " الخبر ".
**التحويل بالنبر التنغيم**: وهذان عنصران صوتيان لا علاقة لهما بالنحو، تأثيره التحويلي صوتي لا نحوي، ويحصل عند الضغط على بعض الحروف أو على بعض الكلمات لإظهارها على بقية كلمات الجملة، ولا يكون التنغيم في الجملة إلّا لمعنى يريده المتكلّم، كالتعجّب، والإنكار، والتوبيخ، والاستفهام وغير ذلك.
**الحركة الإعرابية:** وتكون ذا قيمة دلالية كبيرة، وبها يحصل تحويل الجملة التوليدية من أصل افتراضي إلى جملة تحويلية ذات معنى آخر. كما يكون في جملة التحذير والإغراء والاختصاص وبعض الأنماط الانفعالية الإفصاحية، فإن قلتَ: (الأسدُ) فالمستمع يدرك بالرفع أنك تريد الإخبار، وإن قلتَ (الأسدَ) فإنّ المعنى سيتغيّر إلى التحذير وهكذا.
ويجب أن تكون الجملة التحويلية (البنية السطحية) موافقة للأصول اللغوية، ويعني أن يكون للجملة نظير فيما نطق به ابن اللغة بعد التحويل. فلو قال القائل: (محمّد بلّغ الرسالةَ) أو (بلّغ الرسالةَ محمد) أو (الرسالةَ محمد بلّغ) فكلّ ذلك يفهمه ابن اللعة، فإن قال: (محمد الرسالةَ بلّغ) فلا تعدّ جملة لأنها لا تحقّق القياس اللغوي، وعليه فتردّ. (عمايرة،١٩٨٤: ٨٨-١٧١).

ثمّ إنّ هاريس أستاذ تشومسكي يعتبر الأبّ الحقيقي لعلم اللغة التحويلي، الذي يدرس العلاقات القائمة بين مختلف عناصر الجملة، وكذلك العلاقات بين الجمل الممكنة في لغة ما، كما يعتبر تشومسكي الأبّ الحقيقي لعلم اللغة التوليدي، ويرى أنّ في وسع أيّ لغة أن تنتج ذلك العدد اللانهائي من الجمل التي ترد بالفعل في اللغة. (عبد التوّاب، 1997: 187،188)
**المبحث الثاني: المنطلقات الفكرية للنظرية التوليدية التحويلية:**
النظرية التوليدية التحويلية حظيت من الاهتمام ما لم تحظ بها النظريات اللسانية الأخرى، فقد اهتمّ بها الباحثون والدارسون اهتماما بالغا، لأنها ظهرت بوصفها دراسة لسانية دقيقة، اعتمدت على المنطلقات الفكرية والعلمية التي جعلتها تمتاز عن سائر النظريّات الأخرى.
ويمكننا هنا حصر أهمّ المنطلقات التي استفاد منها الفكر اللساني التوليدي التحويلي فيما يلي:

### 1-رينيه ديكارت René Descartes:

من الفكر الفلسفي لدى تشومسكي فكرة " فطرية اللغة" Inneisme Linguistique وقد أخذها من الفيلسوف رينيه ديكارت، ويعني وجود بنيات لغوية تصوّرية مجرّدة جاهزة للاستعمال عند الإنسان، فاللغة البشرية عند ديكارت لا تختلف عنها عند تشومسكي، على أنها صفة ملازمة للجنس البشري تميّزه عن غيره من الكائنات الأخرى، وقد أكّد ديكارت على أهميّة التفكير المجرّد عند الإنسان من خلال العقل، وهذا باعتباره آلة عامّة يمكن استخدامها في كلّ أنواع الطوارئ، ليخلص أنّه بفضل هذا العقل يمكن للإنسان أن يتصرّف حيث تعجز كائنات أخرى عن القيام بذلك.
(غلفان، 2010: 7).

فالتفكير المجرّد هو حقيقة الفرق بين الإنسان والحيوان، والآلات غير العقل لن تقدر مطلقا على أن تستعمل الكلمات أو أي إشارات أخرى تؤلّفها كما نفعل نحن لنصرّح بأفكارنا. قد تتمكّن بعض الكائنات غير الإنسان من نطق بعض الأصوات؛ لكنها لن تتمكّن إطلاقا من القدرة على تنويع الألفاظ لتجيب إجابة مطابقة عن كل ما يقال لها في حضرتها مع أنّ أغبى الناس يستطيع أن يفعل ذلك.

وتأسيسا على ما سبق اعتبر ديكارت اللغة من مميّزات الجنس البشري، يقول: " ممّا يستحقّ الذكر أنّه ليس من الناس الأغبياء والبلداء حتى دون استثناء البلهاء منهم، من لا يقدرون على تأليف كلمات مختلفة وأن يركّبوا منها كلاما به يجعلون أفكارهم مفهومة، وبالعكس ليس من حيوان آخر مهما كان كاملا ومهما نشأ نشأة سعيدة يستطيع أن يفعل ذلك".

ثمّ إنّ القدرة على اللغة لا ترجع إلى وجود الجهاز الناطق عند الإنسان، فبعض الكائنات غير الإنسان تكون قادرة على إنتاج أصوات معيّنة، حتى لو كانت قليلة، فإنّ طائر العقعق والببغاء تستطيع أن تنتطق مثلنا؛ أي نطقا يشهد أنها تعي ما تقول. فما يميّز اللغة عند الإنسان في نظر ديكارت هو ارتباط الفعل اللغوي بالعقل، إنّ معرفة الكلام لا تحتاج إلا إلى شيء من العقل جدّ قليل، إذ إنّ بعض الكائنات القادرة على إصدار بعض الأصوات لا تعي حقيقة ما تفعل، وليس لها القدرة على استعمال هذه الأصوات في سياقات مختلفة. (غلفان، 2010: 6-7)

فهذا الموقف الفكري والفلسفي القائل بفطرية اللغة أثّر في تطوّر نظرية النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي ابتداء من سنة (1957)، ويعني ذلك قبل ترسيخ المرحلة الأولى للنحو التوليدي التحويلي، إذ النحو التوليدي التحويلي درس اكتساب اللغة وتعلّمها انطلاقا من تصوّر عقلاني يقوم على فطرية اللغة عند الإنسان، والذي أثاره رينيه ديكارت قبله.

### 2-بور رويال Port Royal:

وجدت أفكار ديكارت قبولا في بعض الأوساط التعليمية كما نجد ذلك عند نحاة بور رويول من خلال صدور كتابهم " الصيت في النحو العام العقلي "Grammaire Générale et Raisonnée لصاحبيه أنطوان أرنولد Antoine Arnauld، وكلود لانسيلو، Claude Lancelot.

يعدّ نحو بور رويال نموذجا واضحا لتأثير الفلسفة العقلانية في الدرس اللغوي الجديد بوجه عام، وفي النظرية التوليدية التحويلية لدى تشومسكي بوجه خاص، فقد استمدّ نحو بور رويال أسسه ومبادئه من الفلسفة العقلانية عند ديكارت التي تنصّ على وجود تتطابق تامّ وكامل بين البنيات المنطقية والبنيات اللغوية. فاللغة في التصوّر العقلاني ليست سوى تعبير منطقي عن الفكر، فاللغات مع اختلافها على مستوى القواعد التركيبية النحوية تشترك في أنّها تتوافر على بنيات منطقية وعقلية عامّة ومشتركة بين البشر، ومن هذا المنطلق سعى نحاة بور رويال إلى وضع قواعد نحو عامّ ينطبق على جميع اللغات البشرية، فاللغات وإن تعدّدت وتنوّعت واختلفت فإنها تتّفق وتلتقي في كونها تخضع للقواعد نفسها التي تجسّدها المقولات العقلية العامّة عند الإنسان، التي تعدّ من منظور نحاة بور رويال أساسا يصلح لبناء نحو اللغات (النحو الكلي) وصياغة قواعدها، والجزء الأخير من اسم كتاب نحاة بور رويال يفسّر هذا، وهو " النحو العامّ والعقلي".

واشتراك اللغات البشرية في عدد من القواعد التركيبية والدلالية العامّة قضايا فكرية وفلسفية حاضرة في أعمال تشومسكي، ودافع عنها، وهي التي أصبحت في الأدبيات التوليدية التحويلية باسم الكليّات اللغوية

Universaux Linguistiques، وهي المواد اللغوية والخصائص الشكلية المشتركة بين جميع لغات البشر مع اختلافها وتباعدها في البنيات السطحية.

**3-ويليام فون همبولدت Wilhelm Von Humboldt(1767-1835):**

فكرة **"الإبداع اللغوي " La créativité linguistique** لدى تشومسكي التي تمثّل قدرة الفرد العقلية على توليد الجمل بقدر لا نهائي، وتمدّنا بملكة الكلام، وتفترض وجود نظام من القواعد التوليدية انطلاقا من قواعد محدودة، هذه الفكرة أخذه تشومسكي من الفيلسوف الألماني ويليام همبولدت. ويشير تشومسكي في كتابه " مظاهر النظرية التركيبية" إلى أنّ مفهومي البنية العميقة والسطحية قريب جدّا من مفهوم البنية الداخلية والخارجية عند همبولدت. وقد كان كتاب تشومسكي " اللسانيات الديكارتية " الدعامة الفكرية الأوضح والحجة الأقوى في أن يرفض الطروحات اللسانية البنيوية ذات المنحى التجريبي، القائم على تبنّي تصوّرات علم النفس السلوكي في مجال تعلّم اللغة واكتسابها التي تسقط كون اللغة نشاطا مرتبطا بالعقل والإرادة. فالمهمّ في النحو التوليدي ليس الجانب السلوكي الظاهر، وإنّما المهمّ هو البحث في العمليات الذهنية المتبعة في اكتساب اللغة وتعلمّها واستعمالها. (تشومسكي،1992: 13،14) و (غلفان، 2010: 8).

**المبحث الثالث: المدرسة البنيوية والمدرسة التوليدية التحويلية واكتساب اللغة:**

**1-المدرسة البنيوية وقيمتها المعرفية والفلسفية:**

يتّفق معظم الباحثين والدارسين للسانيات الحديثة، في رجوع بداية المنهج البنيوي الوصفي إلى عهد العالم اللساني فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure، أبّ اللسانيات الحديثة، وهذا قبل انتشاره في العالم وتأثيره على العلوم الإنسانية المختلفة.

وأكثر الباحثين في اللسانيات الحديثة، يتّفقون على أنّ اللسانيات البنيوية بدأت بشكل فعلي وجلي بصدور الطبعة الأولى من محاضرات دي سوسير، وهذا لا يتنافى مع تعدّد البنيوية واختلافها باختلاف المناهج الفكرية والعلمية بين أصحابها، التي جعلت المدرسة البنيوية مدرسة كبيرة لها اتجاهات مختلفة. فقد اكتسبت المنهجية البنيوية قيمتها المعرفية انطلاقا من دفاعها الواضح وموقفها البيّن إزاء دراسة قضايا الإنسانية بكلّ جوانبها، اللغوية منها والنفسية والاجتماعية والثقافية، ورفضت البنيوية وجود نموذج معرفيّ علمي خاصّ بالإنسان، كما يروّج لذلك في بعض الاتجاهات الاجتماعية في مرحلة ما قبل البنيوية، وهذا الموقف المعرفيّ والمنهجيّ جعل بعض الدارسين يرون أنّ البنيوية نظرية في العلم (ابستمولوجيا) تؤكّد على أهميّة النموذج في كلّ معرفة علمية، وتجعل للعلاقات الداخلية والنّسق الباطن قيمة كبرى في اكتساب أيّ علم. (زكريا، 1980: 9).

ظهرت البنيوية في الثقافة الفرنسية في أوّل ظهورها في مجال اللسانيات، من خلال أطروحات مدرسة براغ ابتداء من سنة 1926م، ثمّ انتقلت بعد ذلك إلى مجالات معرفية أخرى تجاوزت فرنسا، لا سيّما بعد السجال التأريخي بين فيلسوف الوجودية جان بول سارتر Jean Paul Sartre (1905-1980)، ورائد البنيوية الأنثروبولوجي ليفي ستروس Levi Strauss .

ونجد العلاقة بين البنيوية والفلسفة في وجود نظرة فلسفية خفيّة وراء المقاربة البنيوية، ويتعلّق ذلك بتصوّر إيمانويل كانط Emmanuel Kant للنّسق الشامل الخفيّ اللازماني الذي ترجع إليه المظاهر الخارجية للأشياء والكينونات، بل حتّى في التصوّرات الفكرية والمظاهر الرمزية يمكن ردّها إلى نسق مثالي ومتعال، ويتميّز هذا النسق بكونه قَبْلِيًّا تتوافر فيه أسس قالبية ذات طبيعة مثالية قابلة لأن تدمج فيها جميع الأنظمة والظواهر، مهما تعدّدت وتنوّعت في الواقع المادي الفعلي.

وبالدرجة والكيفية التي تؤكّدها الفلسفة الكانطية في موضوع أهميّة العلاقات الداخلية في كل مقاربة موضوعية، تؤكّد البنيوية ضرورة اختبار أغوار النظام الداخلي للظواهر المدروسة وليس على صورتها التجريبية الحسية والمدركة. (غلفان، 2010: 250-251).

ويلحظ في إطار التصوّر البنيوي الميل إلى رفض النزعة في التعامل مع الظواهر المدروسة عندما تؤكّد البنيوية على ضرورة تفسير الواقع بالعودة إلى المبادئ العقلية العامّة.

ومعلوم أنّ المدرسة التجريبية لها تصوّر مخالف للتصوّر البنيوي فيما يتعلّق بمفهوم العلاقة بين الأشياء، فالأطراف التي تكوّن العلاقة في الفكر التجريبي وحدات ذرّيّة قائمة بذاتها، وهي التي تعطي للعلاقة قيمتها، ويستحيل تصوّر العلاقة دون العناصر التي يتوافر كلّ منها على استقلالية، وله دور الخاصّ، ويمكن تصوّره باستقلال عن العلاقة التي يندرج فيها، بينما ترى البنيوية ترى أنّ العلاقة هي الأساس، وهي التي تعطي للعناصر قيمتها ودورها في كلّ عملية. فما يهمّ عند البنيويين ليس فقط الكلّ، كما تتبنّى ذلك الجشطلت Gestalt بل البحث في العلاقات القائمة بين الكلّ.

وبما أنّ البنيوية قائمة على نقد الممارسات القديمة في تعاملها مع مختلف الظواهر، فينبّه جان بياجيه Jean Piaget إلى ضرورة التمييز بين الوجهة النقدية للبنيوية والوجهة المنهجية التي تدافع عنها البنيوية، فما ترفضه البنيوية في الرياضيات، أو الفيزياء، أو علم النفس، أو علم الاجتماع، مختلف عمّا ترفضه في اللسانيات في النقد الأدبي، وما تدافع عنه سائر البنيويين أساسا يعدّ بمثابة نموذج مشترك عن طريق البنية القائمة بذاتها في غياب الاستعانة بأي عنصر خارجي عنها. (غلفان، 2010: 253،252).

**2-البنيوية الأسس والمنطلقات:**

يتّفق البنيويون على أنّ البنيوية تقوم على أساس نظريّ مؤدّاه " أنّ البنية تتألّف من عناصر ومكوّنات جزئية، وأنّ أيّ تغيّر يطرأ على أي واحد من هذه المكوّنات لا بدّ أن يؤثّر في سائر المكوّنات والعناصر الأخرى".

ودي سوسير لم يستعمل لفظ البنية أو البنيوية في محاضراته، لكنّه تحدّث عن مضمون هذا المصطلح، والمرّة الأولى التي استعمل فيها هذا المصطلح كان في البيان الذي أعلنه المؤتمر الأوّل في السلاف سنة 1929م، فقد ورد فيه مصطلح البنية بمضمونه المعروف حتى اليوم، وشارك في المؤتمر كل من ياكبسون Jakobson وتروبتسكوي Troubtskoï، ودعا المؤتمر إلى تبنّي منهج جديد في دراسة اللغة سمّي بالمنهج البنيوي.

والمفهوم الذي استخدمه دي سوسير بدلا من كلمة "بنية" هو السياق إذ المفهوم الجوهري في نظره هو النسق. (بنفينيست،1986: 129)، بل إنّ أنطوان مييه Antoine Meillet من تلاميذ دي سوسير يقول: " إنّ ما كان يبحث عن تحديده (يعني دي سوسير) طوال حياته كلّها، هو نسق الألسنة التي كان يدرسها". (بنفينيست،1986: 129-130).

وقد كانت المبادئ اللسانية التي اعتنقها دي سوسير تمثّل الانطلاقة الأولى للنظرية البنيوية، كما أنّه أرسى كثيرا من وجوه التمايز النظرية التي كان لها تأثيرها الكبير على الفكر اللساني عند كلّ المدارس اللسانية الحديثة. (محمد، 1997: 58).

وانطلق دي سوسير من تحديد موضوع اللسانيات في دراسة اللغة في حدّ ذاتها ولأجل ذاتها، وذلك انطلاقا من الفصل بين جملة من الثنائيات أهمّها:

**التمييز بين اللغة والكلام**: فميّز بين النظام اللغوي (اللغة Langue)، والتكلّم باللغة أو كتابتها (الكلام Parole)، وهذا التمييز يميّز ما هو اجتماعي (اللغة) عمّا هو فردي (الكلام)، الذي لا تحكمه قواعد مشتركة، لأنّ الإنسان حسب دي سوسير خاضع لنظام عامّ لا يمكن تحليل مكوّناته إن لم تكن داخل هذا النظام. (بوجادي، 2009: 18-19). فاللغة في نظره متّسمة بالطابع الاجتماعي، ومن ثمّ فإنّه يمكن النظر إليها بغضّ النظر عن المتكلّمين بها، وبهذا تكون معاكسةً للكلام الذي لا يمكن أن يكون ظاهرة اجتماعية، لأنّه إنتاج فردي شعوري تماما. (حسن، 2011: 206).

**3- البنيوية السلوكية والنظرية التوليدية التحويلية في اكتساب اللغة:**

من المجالات المهمّة التي اهتمّت بها اللسانيات الحديثة (علم اللغة التطبيقي) اكتساب الطفل للغة، ودراسة مراحل الاكتساب اللغوي، وعيوب النطق ومشكلات الكلام والتخاطب، ونموّ الطفل اللغوي، ومعالجة مشكلات الحياة التي تكون اللغة جزءا منها، وكان اكتساب اللغة ودراسة المهارات الاتصالية والكفاية التواصلية المختلفة من أهمّ ما عنيت بها النظريات اللغوية الحديثة، دراسة وتأصيلا وتطبيقا، ومن النظريات الحديثة التي درست ذلك اللسانياتُ التوليدية التحويلية.

فقد رأت النظرية التوليدية أنّ الطفل يمتلك بفطرته تنظيما ثقافيا، يمكن تسميته بالحالة الأساسية للعقل، يمكنه من اكتساب لغة قومه من خلال تعرّض شفاف لما يسمعه ممن حوله (زكريا،1982: 54). وقد ظهرت ثلاث نظريات تفسّر اكتساب الطفل للغة، وهي:

**1-نظرية المحاكاة**

**2-نظرية التعلّم الشرطي**

**3-نظرية تحليل المعلومات** (الخلايلة، واللبابيدي،1995: 31،36).

**نظرية المحاكاة أو التقليد:** وهي محاكاة النشاطات اللغوية والحركية، وكثيرا من سمات الشخصية، وتعتبر هذه النظرية من وجهة نظر مؤيّديها من أهمّ العوامل في تعلّم اللغة عند الطفل، وهي عندهم تمثّل المرحلة الحسّاسة في التعلّم، بينما يرى بعضهم أنّ المحاكاة تبدأ في الرابع الأخير من السنة الأولى من حياة الطفل، أو في أواخرها.

**نظرية التعلّم الشرطي الإجرائي:** وترى أنّ الطفل يبدأ في إصدار أصوات عشوائية، تسمّى "المناغاة" بصورة تلقائية، ويقوم الوالدان بعملية "التعزيز" من خلال الابتسام، والمداعبة، والاحتضان، أو تقليد مناغاته، فيتحسّن الطفل تدريجيّا بقدرته على جذب انتباه الآخرين من خلال الأصوات التي يصطفيها، وتعتمد هذه النظرية على التعزيز وهو العمليات التنشيطية والتحبيذية التي يحصل عليها الطفل من البيئة اللغوية المحيطة له، فكلّما ازدادت الإشادة بقدرات الطفل من قبل الأهل ازداد تحسّن أدائه لهذه المناغاة. وهذا ما تبنّته المدرسة البنيوية السلوكية الوصفية.

**نظرية تحليل المعلومات**: وهي نظرية تشومسكي التي تمثّلها "النظرية التوليدية التحويلية" ترى أنّ السلوك اللغوي في أصله يعتبر سلوكا عقليا معرفيا تنتج عن عمليات عقلية، وليست عمليات روتينية، أو حركية، أو سلوكية. وهذه النظرية الأخيرة من أهمّ النظريات في دراسة الاكتساب اللغوي في الدرس اللغوي الحديث، وخصوصا بعد معارضتها للنظرية البنيوية الوصفية السلوكية، التي ترى أنّ عملية الاكتساب اللغوي يجب أن تكون عن طريق التلقين، والاستجابة الشرطية والحافز. (التعزيز)

(تشومسكي، 1987: 115،116).

ويتلخّص موقف النظرية التوليدية التحويلية في اكتساب اللغة من خلال ما يأتي:

- البنى اللغوية عند أطفال البيئة الواحدة الأصحّاء يكون على نسق واحد.
- يكتسب الطفل السليم المعرفة اللغوية من خلال تعرّض شفاف لما يسمعه، دون تدرّج.
- يستطيع الطفل أن يكتسب لغة قومه في أربع سنوات بطريقة سهلة ودون بذل جهود في ذلك.
- خصائص لغة الطفل التي يكتسبها بصورة أساسية يجب ألا تتجاوز قدراته الطبيعية على الاستيعاب.
- لا يكتسب الطفل السليم اللغة واستعمالاتها فحسب، بل يمتلك القدرة والتقنية على التواصل اللغوي، وبالتالي يتمكّن من إدراك أهميّة اللغة ودورها الوظيفي في المجتمع الذي يعيش فيه.
- الطفل الذي نجح في اكتساب لغة قومه يكون قد نمّى في ذاته تصوّرا داخليّا لتنظيم من القواعد، تسمّى "الكفاية اللغوية" أو القدرة اللغوية.

فعملية اكتساب اللغة عند الطفل في النحو التوليدي التحويلي عملية اكتساب تنظيم من القواعد بالغ التعقيد، يجد من خلالها تأهيلا تعرضه مباشرة للمظاهر اللغوية المحيطة به، وهذا أمر خاصّ بالإنسان، لأنه يحمل العقل والمنطق اللذان يميّزانه من سائر المخلوقات.

وبذلك تكون النظرية التوليدية قد هدمت كثيرا من المفاهيم السائدة قبلها في تفسير ظاهرة اكتساب اللغة. إذ ترى أنّ الطفل بوصفه إنسانا يتوصّل في مدّة زمنية قصيرة نسبيا إلى اكتساب الكفاية اللغوية، التي هي المعرفة بتنظيم قاعدي بالغ التعقيد يؤهّله لتعلّم اللغة. (زكريا،1992: 50).

وقد جاءت النظرية التوليدية ثائرة على النظرية السلوكية وهادمة لها، التي كانت تفسّر اكتساب اللغة لدى الطفل بأنّه ينقل لغته الأمّ، ويحاكيها إلى أن يتوصّل إلى الإلمام بها، وفي أنّ ذهن الطفل صفحة بيضاء تتلقّى مثيرات البيئة، ويمكن تلخيص موقف السلوكية في اكتساب اللغة لدى الطفل فيما يأتي:

- يندرج اكتساب الطفل للغته الأمّ ضمن إطار نظرية التعلّم، فهو شكل من أشكال السلوك الإنساني، ولا يختلف عن أيّ مهارة سلوكية أخرى.
- يكتسب الفنولوجيا عند الطفل من خلال تحويل الأصوات العفوية إلى أصوات لغوية عن طريق تدعيمها، أو عن طريق التعزيز الذي يناله الطفل من الوالدين أو من الأسرة أو البيئة اللغوية باتجاه اكتساب الأنماط الصوتية من الكبار.
- يكتسب الطفل أصوات اللغة بصورة آلية من خلال التكرار، والتواصل، والممارسة المستمرّة لهذه العادات اللفظية.
- يكتسب الطفل طريقة نطق الكلمات وفهم معانيها وتركيبها في جمل مفيدة عبر مسار شرطي.

ويرفض تشومسكي هذه النظرية لأنّها آراء سابقة وأوّلية، ولأنّها تنظر إلى الإنسان بوصفها آلة، أو أنّه لا يختلف عن الحيوانات، ولا تراعي قدراته العقلية والفكرية في الإنسان. (زكريا،1982: 54).

في نظر تشومسكي اللغة كناية عن مجموعة غير محصورة من الجمل، وكلّ جملة منها طولها محدود ومكوّنة من مجموعة معدودة من العناصر. (بهنساوي، 1994: 30).

فالتوليديون ينطلقون من تعريفهم للجملة، انطلاقا من تصوّرهم لمفهوم قواعد اللغة، فهي عندهم جهاز أو وسيلة لتوليد جميع الجمل الصحيحة، وهذه القواعد تشمل:

- النظام النحوي، الذي يعطينا خلفيات ومعلومات عن البنية العميقة للجلمة.
- القواعد التحويلية التي تزوّدنا بالمعلومات عن البنية السطحية للجملة.
- النظام الصوتي الذي يزوّدنا بالكيفية التي تنطلق بها الجملة.
- نظام المعاني الذي يدلّنا على معنى الجملة.

وانطلاقا من هذا فتعني القواعد التوليدية عند التوليديين العلاقة بين الأصوات (البنيات السطحية) والمعاني (البنيات العميقة) ومن هنا جاء تعريفهم للجملة أنّها: قران يحصل على نحو خاصّ بين تمثيل صوتي بين ضرب معيّن من البنى المجردّة، تسمّى البنى العميقة. (سالم،2015: 68).

وتعني الجملة عند تشومسكي " الصيغة الظاهرة في الإشارة إلى المعنى، ومنها تستنبط القواعد التي تساعد الناطق بلغة ما على توليد الصيغ السليمة". (التميمي، 2003: 77).

فالجملة في نظر تشومسكي هي " ما تحتوي على سلسلة من الأدلة النظمية، يجري توليد كلّ واحد منها من قبل الأساس في المكوّن النحوي". (تشومسكي، 1985: 40).

ويقول " إنّ المقصود باصطلاح الجملة هو مجموعة سلاسل المكوّنات الأساسية، وليس السلاسل المتكوّنة من وحدات صوتية."(تشومسكي، 1985: 58).

فالتوليديون يعتبرون الجملة الأساس في الدراسات اللغوية، ويتوقّف عليها الدرس اللغوي، ولا تبتدأ الدراسات اللغوية إلّا مرورا بها، فينطلقون في التحليل بدءا بالجملة، التي تشمل على عدد من فيجب على الباحث اللغويImmediat constirent) العناصر المكوّنة الأسّاسية (أن يحلّل الجملة من مكوّناتها الأساسية. (عمايرة،1984: 58).

### 4- نحو المكوّنات Structure Grammar :

إنّ من أهمّ الطرق لمعرفة عناصر الجملة وتحليها في النحو التوليدي عند تشومسكي طريقة " نحو المكوّنات" وهي الطريقة التي يمكن بها وصف بعض القضايا اللغوية التي لا تستطيع طريقة النحو المحدود وصفها فضلا على التي يستطيع النحو المحدود وصفها. وتقوم هذه الطريقة عند تشومسكي على تحليل الجملة إلى عناصرها الأساسية، أي المكوّنات المباشرة بوساطة المشجّر، (ميشال، 1986: 130).

وتشومسكي اختار طريقة المشجّر، لأنّها توضّح العلاقات بين العناصر الأساسية المحلّلة، مع الإفادة من مناهج الرياضيات والمنطق، وطريقته هذه مبنية على إعادة الرموز المأخوذة من النحو التقليدي، (جملة

وفعل واسم وحرف ونعت وتعريف واسم ....) حيث تتمّ إعادة كتابة التركيب على وفق الرموز الموضوعة له، وتسمّى قواعد إعادة الكتابة.

(ضرب الرجل الكرّة).The man hit the ball ويمكن التمثيل للطريقة المشجّرة عنده بجملة وستكون الجملة مكوّنة كما يأتي:

| | |
|---|---|
| S ……NP+VP | (الجملة) |
| NP ……..T+ NP | (عبارة اسمية) |
| VP…… V+ VP | (عبارة فعلية) |
| V…….. (Hit –took) | (فعل) |
| N…….. (Man-ball) | (اسم) |
| T…… (A-the-…) | (أداة) |

ويقابل هذا التقسيم في العربية:

1-الجملة..... عبارة اسمية + عبارة فعلية.
2-العبارة الاسمية ..... أداة + اسم.
3-العبارة الفعلية..... فعل + عبارة اسمية.
4-فعل ..... ضرب، ذهب، ....
5-اسم ..... رجل، كرّة، ....
6-أداة ..... ال. (ليونز،1985: 46،48).

**وهذه الرموز تمرّ على قواعد إعادة الكتابة:**

**وهذه الرموز تمرّ على قواعد إعادة الكتابة:**

| | |
|---|---|
| S…..NP + VP | 1- الجملة: عبارة اسمية + عبارة فعلية. |
| T + N+ VP | 2- أداة + اسم + فعل + عبارة اسمية. |
| The + N+ V+ NP | 3- ال + اسم + فعل + عبارة اسمية. |
| The + Man + V +NP | 4- ال + رجل + فعل + عبارة اسمية |
| The +Man + Hit +NP | 5- ال + رجل + ضرب + عبارة اسمية |
| The + Man + Hit + T+N | 6- ال + رجل + ضرب + أداة + اسم |
| The + Man + Hit + The + N | 7- ال + رجل + ضرب + ال + اسم |
| The + Man + Hit + The + Ball | 8- ال + رجل + ضرب + ال + كرة |

(تشومسكي،1986: 37،40)

فهذه الجملة تقابل بالعربية: **الرجل ضرب الكرّة، فالرجل مبتدأ، وضرب** فعل وهو الواقع خبرا، لأنّه يشكّل الجملة الفعلية الواقعة خبرا، و**الكرّة** مفعول به لفعل **ضرب**.

) خبر له. (Hit the ballمبتدأ و(The man) فمن خلال هذا المشجّر نستنتج أنّ العنصر كاظم، 2009: 111). (Hit) .( هو مفعول به للفعل (The ball)وأنّ

ونستنتج ممّا مضى أنّ الجملة الإنجليزية عند تشومسكي تتكوّن من ركن اسمي وفعلي، ويكون ترتيبها

مفعول به، ورمزه (Verb) + أي Vفعل ويرمز له برمز S (Subgect) +هكذا: فاعل ورمزه ). من اليسار إلى اليمين، (s+v+o) ومن ثمّ يكون اختصار الجملة بهذه الرموز O (Obgect أو قد تكون الجملة الإنجليزية مكوّنة من مبتدإ وخبر كما في المثال السابق،

وتكون الجملة الأساسية عرضة للتغيّر فتتحوّل من حالة إلى أخرى (The man hit the…) بدخول أحد عناصر التحويل، كالتقديم والتأخير، أو الحذف والزيادة، وغير ذلك من عناصر التحويل. (ليونز،1985: 50،51).

والجملة العربية هي الإسناد، سواء كان ذلك إسنادا فعليا، أم كان اسميا، والترتيب الأصلي للجملة الفعلية العربية هو: فعل + فاعل + مفعول به، ورموزها بالاختصار:

ذلك. ويمكن أن يدخل فيها عنصر من عناصر التحويل، كالتقديم والتأخير، وغير(V+ S+ o)

والترتيب الأصلي للجملة الاسمية في العربية هو: مبتدأ + خبر، وقد يتقدّم الخبر على المبتدإ لتأدية معنى من المعاني، فيصبح الترتيب خبر + مبتدأ، وقد يدخل فيها عنصر من عناصر التحويل من حذف وزيادة وغير ذلك. (التميمي،2003: 86،87).

**الخاتمة:**

مرّت النظرية التوليدية التحويلية بمراحل عديدة يمكن تخليصها في أبرز مرحلتين هما مرحلة المباني التركيبية (١٩٥٧-١٩٦٥) ومرحلة اتّساع القواعد التحويلية ( ١٩٦٥-١٩٧٠)، تبدأ المرحلة الأولى بظهور كتاب تشومسكي الأوّل (المباني التركيبية)، (STRUCTURES SYNTAXIQUE)، الذي تضمّن أهدافًا وقواعد تسمّى (أنحاء ونماذج)، وركّز تشومسكي في الأهداف إجمالا على الخاصية الإبداعية، والحدس اللغوي، وثورته على السلوكية، والنقطة الأخيرة هي تفوّق أطروحات تشومسكي على أطروحات من سبقوه، لاستنادها إلى الدّقة الرياضية المتناهية، المتوخاة في صياغة النظم البديلة في الوصف النحوي، فشبّه القواعد النحوية بالقواعد والقوانين الحسابية، وهذا يحتّم دقيقتها.

والمرحلة الثانية تبدأ إثر ظهور كتابه (أوجه النظرية التركيبية)، ( Aspects de la theorie syntaxique)، وفيها اقترح تشومسكي نظرية أكثر تفصيلا للقواعد التحويلية، وقد اختلفت في الوقت ذاته عن النظرية التي قال بها في كتابه الأوّل (المبادئ التركيبية)، وأهمّ مبادئ هذه المرحلة يمكن تمثّلت في مبدإ الكفاءة والأداء، والقواعد التحويلية، والبنية السطحية والعميقة، وعناصر التحويل.

ومن الأفكار التي تأثّر بها تشومسكي في عمله اللساني وانطلق منها فكر "فطرية اللغة " التي أخذها من الفيلسوف رينيه ديكارت، والتي تعني وجود بنيات لغوية تصوّرية مجرّدة جاهزة للاستعمال عند الإنسان. ومنها نحو بور رويال والذي يعدّ نموذجا واضحا لتأثير الفلسفة العقلانية في الدرس اللغوي الجديد بوجه عام، وفي النظرية التوليدية التحويلية لدى تشومسكي بوجه خاص، واستمدّ نحو بور رويال أسسه ومبادئه من الفلسفة العقلانية عند ديكارت التي تقول بوجود تتطابق تامّ وكامل بين البنيات المنطقية والبنيات اللغوية. فاللغة في التصوّر العقلاني ليست سوى تعبير منطقي عن الفكر، فاللغات مع اختلافها على مستوى القواعد التركيبية النحوية تشترك في أنّها تتوافر على بنيات منطقية وعقلية عامّة ومشتركة بين البشر، ومن هنا حاول نحاة بور رويال وضع قواعد نحو عامّ ينطبق على جميع اللغات البشرية وهذا ما اعتمدها تشومسكي في عمله وتحت اسم النحو الكلي.

والفكر الثالث الذي تأثّر به تشومسكي في عمله يتمثّل في فكرة **"الإبداع اللغوي La créativité linguistique "** لدى تشومسكي التي تمثّل قدرة الفرد العقلية على توليد الجمل بقدر لا نهائي، وتمدّنا بملكة الكلام، وتفترض وجود نظام من القواعد التوليدية انطلاقا من قواعد محدودة، هذه الفكرة أخذه تشومسكي من الفيلسوف الألماني ويليام همبولدت.

وقد جاء مشروع اللساني لتشومسكي ثورة على النظرية السلوكية البنيوية التي كانت السائدة قبله في الدرس اللساني والتي انطلقت من المدرسة البنيوية الشكلية، وربط اكتساب اللغة بالعوامل الخارجية، وأنه عملية لتكرار العادات، وأن التعزيز عامل خارجي أساسي لاكتساب أي لغة. وهذا ما رفضه تشومسكي واعتبره آراء سابقة وأوّلية، تنظر إلى الإنسان بوصفها آلة، أو أنّه لا يختلف عن الحيوانات، ولا تراعي قدراته العقلية والفكرية في الإنسان.

ويوصي الباحث بما يلي:

- العناية بنظرية التوليدية التحويلية لمحاولة توظيفها في دراسة النصوص العربية أو تعليم مقرّر النحو العربي للناطقين بغير اللغة العربية.
- أن يهتم الباحثون بدارسة الرموز التحويلية وتوضيحها تمهيدا لتوظيفها في دراسة النصوص والنحو العربي.

**المراجع**


1- إيلوار، رونالد، (1980)، مدخل إلى اللسانيات، تر: بدر الدين القاسم.
2- الوعر، مازن (1988)، تشومسكي، مجلة الموقف الأدبي، العددان 212-213 كانون الأول 1988، وكانون الثاني 1989.
3- تشومسكي، نعوم، (2005)، اللغة والمسؤولية، حسام البهنساوي، تقديم رمضان عبد التوّاب، دار زهراء الشرق، القاهرة، مصر.
4- ليونز، جون، (1985) نظرية تشومسكي اللغوية، تر:حلمي خليل، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
5- درقاوي،مختار، (2015)، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف، الجزائر.
6- كاظم، سوداني رفعت، (2009)، المنهج التوليدي والتحويلي: دراسة وصفية وتأريخية، منحنى تطبيقي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات، دار دجلة.
7- زكريا، ميشال، (1980)، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (ط1)، بيروت، لبنان.
8- تشومسكي، نعوم، (1987)، البنى النحوية، تر: يونيل يوسف عزيز، دار شؤون الثقافية، بغداد، العراق.
9- باقر،مرتضى، (2002) مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 1، عمان.
10-تشومسكي، نعوم، (1965) جوانب من نظرية النحو، تر:مرتضى باقر،وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة.
11-الفهري، عبد القادر، (1988)، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
12-الخولي، محمد، (1999)، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن.
13-عمايرة، أحمد، (1984)، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، دار عالم المعرفة، (ط ١)، جدة، المملكة العربية السعودية.
14-غلفان، مصطفى، ومحمد الملاخ، وحافظ إسماعيل علوي، (2010)، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن.
15-زكريا، فؤاد، (1980)، الجذور الفلسفية للبنائية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت.
16-غلفان، مصطفى (2010)، في اللسانيات العامة، تأريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، (ط1)، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
17-بنفينيست، إميل، (1986)، البنية في اللسانيات، تر: مبارك حنون، دراسات أدبية ولسانية، العدد (2) .
18-محمد، كامل وفاء، (1997)، البنيوية في اللسانيات، عالم الفكر، المجلد (26)، العدد (2) الكويت.
19-بوجادي، خليفة، (2009)، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، (ط1)، جامعة سطيف، الجزائر.
20-حسن، عبد العزيز محمد، (2011)، علم اللغة الحديث، مكتب الآداب القاهرة، مصر.
21-بهنساوي، حسام، (1994)، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
22-التميمي، جابر عبد الأمير، (2003)، جذور النظرية التوليدية في كتاب سيبويه، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة بغداد.
23-ميشال، زكريا، (1986)، الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (ط2)، بيروت، لبنان.
24-عبد التواب، رمضان، (1997)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، (ط3)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
25-عمايرة، خليل أحمد، (1987)، أسلوب النفي والاستفهام في العربية، منهج وصفي في التحليل اللغوي، (ط1)، دار الفكر للنشر والتوزيع.

26-سامبسون،جيفري، (....) المدارس النحوية التطوّر والصراع، تر: أحمد نعيم الكراعين.
27-الخلايلة، عبد الكريم، اللبابيدي، عفاف، (1995)، تطور لغة الطفل، (ط2)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.
28-تشومسكي،نعوم (1992)، اللغة والفكر، تر: وليد السراقبي، مجلة الآداب الأجنبية (سوريا)، العدد 72، 73.

**المراجع الأجنبية:**

1- Chomsky,(1991)Tr: Michel braudeau.ed.paris.le .P2611.
2- Dubois, Jean dubois et autres, (1994), Dictionnaire de linguistique paris. Larousse Pj 126.